جمعية صندوق إعانة المرضى
Patients Helping Fund Society

سلسلة واحة الشفاء (١٣)

قسوة القلب ... وعلاجه

www.phf.org.kw

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مقلب القلوب ومثبتها، والصلاة والسلام على النبي المحبوب للقلوب، وهو طبيبها والعارف بها، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الكشف عن سرائر القلوب ومقاصدها.. أما بعد:

فاعلموا - أحبتي في الله - أن أعظم داءٍ يصيب القلب داء القسوة والغفلة، والعياذ بالله، حتى إن الإنسان ليحس أن قلبه قد انقلب حجراً صلداً لا يتأثر بشيء، وهو داء قد تفشى في هذه الأزمان، والله جل وعلا يقول: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة:٧٤).

فلنتعرف معا على أعراض هذا المرض، وأسباب الإصابة به، ثم الأدوية التي نعالجه بها - عافانا الله وإياكم - من قسوة القلوب، ومن الغفلة عن ذكر علام الغيوب، وشفانا من جميع الأمراض والأسقام.

علامات قسوة القلب

١- **عدم التأثر بالقرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الزمر - ٢٣)، فمن لم يتأثر بآيات الله وهي تتلى عليه وهو يسمعها فإن في قلبه قسوة وغلظة.

٢- **جمود العين وقلة دمعها من خشية الله:** قال تعالى مادحاً المؤمنين من أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ

ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (المائدة - ٨٣). يقول ابن القيم: «متى أقحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب؛ وأبعد القلوب من الله القلب القاسي».

٣- **عدم الاعتبار بالموت والضحك عند القبور:** والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه، وما خلفه لورثته، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه، ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه، وفي حاله إذا حمل عليها، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا، فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا.

٤- **الكبر وعدم قبول الحق:** كما في حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه وفيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، وَأَهْلِ النَّارِ كُلُّ جَوَّاظٍ عُتُلٍّ مُسْتَكْبِرٍ**» (رواه البخاري). قال المناوي: «إذِ القلبُ القاسي لا يقبل الحق وإن كثرت دلائله».

أعراض وآثار مرض قسوة القلب

قال ابن القيم: «سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتا إليه وبعضها قاسيا وجعل للقسوة آثارا وللإخبات آثاراً» فمن آثار قسوة القلب:

١- **نسيان ما ذُكِّرَ به:** وهو ترك ما أمر الله به علما وعملا على لسان أنبيائه ورسله. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ

قَسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟﴾ (المائدة: ١٣).

٢- **زوال النعم**: ونـزول المصائب والنقم، والهلاك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الأنعام - ٤٢-٤٤).

٣- **القلب القاسي أضعف القلوب إيماناً**: وأسـرعها قبولاً للشبهات، والوقوع في الفتنة والضلال، وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ (الحج - ٥٣).

٤- **الفتور عن الطاعة**: والوقوع في المحرمات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- **التنافر بين القلوب**: وشـيوع الكراهيـة، والبغضـاء. قـال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

أسباب الإصابة بمرض قسوة القلب

١- **الغفلة عن ذكر الله وتدبر القرآن والتأمل في آياته الكونية**: قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الحشر - ٢١) قال أبو السـعود في تفسـيره: «أُريدَ به توبيخُ الإنسـانِ على قسـوةِ قلبهِ وعدم تخشعِهِ عندَ تلاوتِهِ وقلةِ تدبرِهِ فيه».

وقال تعالى في الإعراض عن تدبر الآيات الكونية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج - ٤٦).

٢- كثرة المعاصي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾** (المطففين - ١٤)» (رواه أحمد). قال المحاسبي: «اعلم أن الذنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله، والبعد من الله يورث النار، وإنما يتفكر في هذا الأحياء، وأما الأموات فقد أماتوا أنفسهم بحب الدنيا». قال الألباني: «وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي». وقال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب... وخير لنفسك عصيانها

٣- الانشغال بالدنيا والانهماك في طلبها والمنافسة عليها: لحديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِى الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِى رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**» (رواه البخاري ومسلم). قال الخطابي: «إنما ذمهم لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمر دينهم وذلك يفضي إلى قسوة القلب».

وقال ابن القيم: «متى رأيت القلب قد ترحَّل عنه حب الله والاستعداد

للقائه وحلَّ فيه حب المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فاعلم أنه قد خسف به».

٤- **طول الأمل والتمني:** قال المناوي: «طول الأمل غرور وخداع إذ لا ساعة من ساعات العمر إلا ويمكن فيها انقضاء الأجل فلا معنى لطول الأمل المورث قسوة القلب وتسليط الشيطان وربما جر إلى الطغيان».

٥- **التوسع المذموم في المباحات:** فإن قسوة القلب تكون من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة، وهي: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة، قال أبو سليمان الداراني: «إنَّ النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقَّ، وإذا شبعت ورويت عمي القلبُ».

٦- **كثرة مخالطة الناس في غير مصلحة:** قال المناوي: «مخالطة غير التقي يخل بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات.. إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل أو مسامحة في إغضاء عن منكر فإن سلم من ذلك ولا يكاد فلا تخطئه فتنة الغير به».

٧- **عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم:** عنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «**جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**» (رواه البخاري). وفي الحديث «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**» (رواه الطبراني وصححه الألباني). قال المناوي: «المراد نفي الإيمان الكامل؛ وذلك لأنه يدل على قسوة قلبه، وكثرة شحه، وسقوط مروءته، وعظيم لؤمه، وخبث طويته».

٨- **الكسل والفتور عن العمل الصالح:** وكثيرا ما استعاذ الرسول ﷺ

من الكسل والعجز، كما في حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان رسول الله ﷺ يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**» (رواه البخاري ومسلم).

قال المناوي: «الكسل.. والفتور عن القيام بالطاعات الفرضية والنفلية الذي من ثمراته قسوة القلب».

٩- التعصب للرأي وكثرة الجدال: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الجاثية - ٢٣). قال الشافعي: «المراء في العلم يقسي القلوب ويورث الضغائن».

١٠- ظلم الضعفاء، وأكل المال الحرام، وعدم التورع عن الشبهات.

العلاج من مرض قسوة القلب

قال ابن القيم: «القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة».

فعلاج مرض قسوة القلب كما ورد في الكتاب والسنة يكون بما يأتي:

١- الدعاء: حيث كان من دعاء النبي ﷺ التعوذ من عدم خشوع القلب، فعن عَبْدِالله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ**».

٢- قراءة القرآن وتدبر آياته: قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (الحشر:٢١) فهذه دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده بتدبر القرآن «وإن كانوا في القسوة وصلابة

القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لكمال تأثيره في القلوب».

٣- الإكثار من ذكر الله ومن الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ (الرعد - ٢٨). قال العظيم آبادي: «إن القلب إنما خلق لأنْ يتخشع لبارئه وينشرح لذلك الصدر ويقذف النور فيه، فإذا لم يكن كذلك كان قاسيا، فيجب أن يستعاذ منه».

٤- تذكر الموت وزيارة القبور: فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً قَالَ: «أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ، فَزُورُوهَا، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا» (رواه أحمد). قال المناوي: «من أعظم أدوية قسوة القلوب زيارة القبور، وتأمل حال المقبور، وما بعده من البعث والنشور، الباعث على ذكر هاذم اللذات، وكذا مشاهدة المحتضرين، وتغسيل الموتى، والصلاة على الجنائز، ففي ذلك موعظة بليغة».

٥- مصاحبة الصالحين ومجالستهم وقراءة سير السلف الصالح: قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ (الكهف: ٢٥). ومصاحبة الصالحين كلها خير، يُذكِّرون بالله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعلمون الجاهل، وسبب في مغفرة الذنوب.

٦- الإحسان إلى الضعفاء: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلاً، شَكَا

إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ» (رواه أحمد).

٧- **زيارة المرضى:** فعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قِيلَ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: جَنَاهَا**» (رواه مسلم). قال ابن عثيمين: «في ذلك تذكيراً للعائد بنعمة الله عليه بالصحة، لأنه إذا رأى هذا المريض، ورأى ما هو فيه من المرض، ثم رجع إلى نفسه، ورأى ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية؛ لأن الشيء إنما يعرف بضده».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وقفيات لوجه الله تعالى

المصحف	١ دينار	المصحف المترجم	٤ دنانير
حقيبة المريض	٥ دنانير	مساهمة في كفالة داعية	١٠٠ دينار

«بلّغوا عني ولو آية»

ساهم في طباعة هذا الكتيب ١٠٠ نسخة بـ ٦ دنانير

إدارة التوعية والإرشاد

هاتف: 22052147 – 1899000 داخلي 1454 - فاكس: 22052167

www.phf.org.kw